أحمد غربية + مونيكا بصبوص

ما يمكن رسمه كخريطة

في بحثه المعنون «رسم الخرائط البشرية: الوقت المناسب لذلك» يرد داني دورلينغ[1] على التشكيك المتكرر في الخرائط التقليدية وصناعة الخرائط - تشكيك برز في السنوات الخمسين الأخيرة بأشكال مختلفة ولا يزال حتى يومنا هذا قيد الدرس - عبر توجيه انتباهنا إلى خرائط من نوع مختلف. لقد تعرض فن رسم الخرائط لتحديات مستمرة بطرق مختلفة، نذكر منها «الموقفية» (Situationism) والبسيكو-جغرافية (Psychogeography) في الخمسينيات والستينيات من القرن الماضي والاستراتيجيات التجريبية للعاملين في هذين المجالين لاستكشاف المدن. كذلك كان لبروز صناعة الخرائط التي تعنى بالإنسان وتطالب بمزيد من التركيز على حياة الناس في ثمانينيات القرن الماضي أثره. بالإضافة إلى ذلك، نذكر المقاربة التفكيكية لتاريخ الخرائط وسلطتها الجازمة[2]، وصناعة الخرائط المختلفة أو المتمردة، ووصف دوسيرتو لما سماه «العين الشاملة» كنقد لتوق المُخَطِط للنظام والتنظيم[3]، وأخيراً الدعوات لتصوير نسوي للبيانات[4]، وكذلك رسم للخرائط يكون سردياً / عامياً / تشاركياً يستخدم بشكل متزايد من قبل الباحثين في علم الاجتماع، والأكاديميين والفنانين على حد سواء. كذلك علينا ألا نتجاهل التطور المستمر لتقنيات رسم الخرائط الجديدة، والأهم المحاولات لتمكين الجميع من استخدام هذه الأدوات وإظهار المصادر البديلة للمعرفة المكانية، وجعل الخرائط التي يضعها أي كان أكثر حضوراً . إنّ أغلب النقد يرتكز على تأطير الجغرافيا الكميّة كعلم غير مبالٍ ومهووس بالدقة وراعٍ للـ «مشاهد الإحصائية الاجتماعية». بهذا المعنى يمكن اعتبار الابتعاد عن الخرائط الكلاسيكية تحولاً من الكمية إلى النوعية. على الرغم من أنّ الخرائط المليئة بالحقائق قد تكون مشؤومة أو تقليدية بشكل أعمى في أفضل الحالات، فإنّ دورلينغ يشير إلى أنّ سؤال «متى هو الوقت المناسب لرسم الخرائط؟» لا ينبغي أن تتم الإجابة عنه فقط عبر «مدى تجاهل الباحثين الذين يحللون الأرقام المتعلقة بالناس الوسائل الأخرى لدراسة المجتمع»[5]. عبر الاعتراف بأنّه حتى الخرائط التي ترتكز على بيانات يمكنها تحليل الأرقام بشكل مختلف، يشجعنا دورلينغ على ألا نكون فقط نقديين تجاه الخرائط التقليدية بل على إنتاج أشكال جديدة من الخرائط تكون نقدية بحد ذاتها: أي تعمل خارج «الاهتمامات المسيطرة الخاصة بالدقة والموضوعية المكانية»[6].

السؤال عما يمكن رسمه كخرائط هو في صلب النقاش النقدي الجاري، من خلال النظرية والممارسة، في علم رسم الخرائط. لا ينبغي أن نندهش من أنّ الخرائط غالباً ما تفضّل البيانات التي يمكن ملاحظتها وقياسها. في النهاية لقد كانت الخرائط غالباً، إن لم تكن دائماً، أداة قوة، تُقدم على أنّها أدلة موضوعية علمية في المواضيع التي تجعلها مرئية (أو غير مرئية) وفيها مجال أو اعتبار بسيط جداً للشك. لكنّ الاعتراف بأنّ الخريطة هي رواية منتقاة لتعقيد العالم يصبح نقطة انطلاق لمساءلة لا تقتصر فقط على كيف تُنْتَج أي خريطة (ظروفها المادية، ومؤلفوها أو راسموها، وموضوعاتها، وأساليبها) لكن أيضاً وبشكل متساوي مساءلة حول ماذا أو بشكل أدق من تستطيع الخريطة أن تمثل - وكيف للخريطة نفسها أن تحيط بهذه الأسئلة وتجعلها مرئية. يثير ذلك

ترجم من الإنكليزية

AHMAD GHARBIEH + MONICA BASBOUS

On the Mappability of Things

In the 1998 essay "Human cartography: when it is good to map",[1] Danny Dorling responds to the questioning of conventional maps and mapmaking – one that had emerged in various forms during the previous 50 years and is still very much in negotiation today – by directing our attention to maps of a different kind. Of the multiple ways cartography has been persistently challenged, we can note the situationists and psychogeographers in the 50s and 60s and their experiential strategies for exploring cities, the emergence of human cartography in the 80s arguing for a stronger focus on people's lives, the deconstructivist approach to the history of maps and their authoritative power,[2] iconoclastic mapmaking, DeCerteau's description of "the totalizing eye" as a critique of the planner's longing for order and organization,[3] and more recently, calls for feminist data visualization[4] as well as narrative/ vernacular/ participatory mapping being increasingly used by social researchers, academics and artists alike. We should also not overlook the continuous evolution of new mapping technologies, and more importantly, the attempts to open access to such tools and give rise to alternative sources of spatial knowledge and an ever more present citizen cartography. Much of the critique is based on framing quantitative geography as unsympathetic, obsessed with accuracy and fostering "statistical social landscapes". In that sense, the move away from classical cartography can be broadly seen as a shift from the quantitative to the qualitative. Even though "factfilled" maps can be sinister or blindly conventional at best, Dorling points out that the question "when is it good to map?" should not only be answered by examining "the extent to which researchers who analyse numbers about people ignore other ways of studying society".[5] By acknowledging that even data-driven maps can do numbers differently, Dorling encourages us not to merely be critical of conventional maps, but to produce new kinds of maps that are themselves critical: operating outside "the dominant concerns of spatial accuracy and objectivity".[6]

The mappability of things is at the heart of the running critical debate in cartographic theory and practice. We should not be surprised that maps usually favor the empirical: observable and quantifiable data. After all, they have often, if not always, been

an instrument of power, presented as scientific, objective evidence of the subjects they render visible (or invisible), and have had little room or regard for uncertainty. However, to admit that a map is a selective account of the complexity of the world becomes a starting point for questioning not only how a map is produced (its material conditions, its authors, its subjects, its methods), but equally what, or more precisely who, a map can map – and how the map itself can encapsulate these questions and render them visible. This inevitably raises the question of what and who is mappable at all – often the visible, the countable, the material – and gives any answer to that question an inherently political dimension. It also implies another question: what, or who, is not being mapped and why?

This becomes particularly pertinent when confronted with the prospect of mapping refugee practices in the city, a category of people that in the recent context of Lebanon is elusive, if not systemically rendered invisible. The objective is to move beyond "census cartography" – exemplified perfectly by the undifferentiated cluster representations of refugees by humanitarian agencies such as UNHCR – and towards more generative and multifaceted representations with a focus on people's navigations of their daily lives – all without putting them at further risk. An impossible balance of visibility and concealment was to be found. At the outset of the data collection for the three research contributions by the editors in this publication, things did indeed seem unmappable. But not for long.

For the first project we worked on, "Syrian-owned Businesses in the City" (see p. 22), we were initially hoping to collect data with clear geographical dimensions and variables: locations of shops, networks across the country, operational trajectories, and so on. The small size of our sample was particularly attractive for an exploration of traceable information, but the pressing concerns for anonymity quickly prompted us to formulate a new mapping direction. It became imperative to depart from the political vulnerability of the mapping subject, and to accept it as a driver of the information that could be collected and that could be visualized. New methods had to emerge from the raw data at hand: transcribed oral interviews with the business owners. Starting from this qualitative, speech-based data, we sought to identify recurring themes and concerns in order to allow for measurable patterns to come forth. This produced an initial reading whereby the juxtaposition of a particular set of qualitative variables (mention of debt, future

من دون تردد سؤالاً حول من وماذا يمكن أن يكون موضوعاً لخريطة - غالباً المرئي والقابل للعد والمادي - وتعطي أي إجابة عن هذا السؤال بعداً سياسياً متأصلاً. تؤدي أيضاً إلى سؤال آخر: ماذا أو من لا يتم تحويله إلى خريطة أبداً، ولماذا؟

يصبح ذلك مهماً بشكل خاص حين تتم مواجهته باحتمال رسم خريطة لمارسات اللاجئين في المدينة، وهي فئة من الناس شبه مجهولة في الوضع الحالي في لبنان، هذا إذا لم يتم جعلها غير مرئية بشكل نظامي. إنّ الهدف هو تخطي فكرة «خريطة التعداد السكاني» - التي يمكن اعتبار أفضل مثال عنها هو التصوير غير المتمايز للاجئين ككتل من قبل المنظمات الإنسانية، مثل مفوضية اللاجئين - نحو تمثيل أكثر تعددية واستمرارية مع تركيز على تحرك الناس في حياتهم اليومية - وكل ذلك من دون وضعهم أمام مزيد من المخاطر. كان يجب إيجاد توازن مستحيل بين المرئية والإخفاء. في بداية عملية جمع البيانات للمساهمات الثلاث من قبل المحررين في هذا المنشور كانت الأمور بالفعل غير قابلة للرسم في خرائط. لكن ليس لفترة طويلة.

في المشروع الأول الذي عملنا عليه «متاجر يملكها سوريون في المدينة» (راجع صفحة 22) كنا نأمل في الأصل جمع بيانات مع أبعاد جغرافية ومتغيّرات واضحة: مواقع المتاجر، والشبكات عبر البلاد، والمسارات التشغيلية، وغيرها. إنّ الحجم الصغير للعيّنة التي عملنا عليها كان مشجعاً لنا لكي نستكشف البيانات التي يمكن تتبعها، لكن المخاوف الملحة المتعلقة بالسرية سرعان ما دفعتنا إلى وضع اتجاه جديد لرسم الخريطة. أصبح من الضروري الابتعاد عن الهشاشة السياسية لموضوع الخريطة والقبول به كدافع للبيانات التي يمكن جمعها وتصويرها / أو رسمها. كان يجب أن تبرز أساليب جديدة من البيانات الخام الموجودة: مقابلات شفهية مع أصحاب المتاجر. انطلاقاً من هذه البيانات النوعية والمرتكزة على الكلام سعينا لتحديد الثيمات والمخاوف المتكررة من أجل السماح بظهور أنماط يمكن قياسها. أنتج ذلك قراءة أولى تجاورت فيها مجموعة معيّنة من المتغيرات النوعية (ذكر مقدار الدّين، والمشاريع المستقبلية، والعلاقة مع المحيط، إلخ) هدفت إلى خلق «مقياس للنجاح» أكثر قابلية للحساب. لكن بما أنّ النجاح مفهوم ذاتي جداً ، تصبح هذه الرسومات ذات صلة حين تُقرأ كمؤشرات على الاختلاف، وعلى تفكيك الصورة المتجانسة للاجئين السوريين كما يروّج لها الخطاب السائد. في قراءة ثانية للبيانات، سمح لنا تحليل الخطابات بتفسير المصادفات في المقابلات كمؤشرات على تحدّيات ومخاوف محددة يواجهها أصحاب المتاجر. عبر تلخيص أو تقسيم البيانات بواسطة التصنيف والقياس استطعنا تحديد المخاوف الشاملة ومداها وتقاطعها، وعبر الغوص مجدداً في تعقيد المقابلات استطعنا تفكيك هذه المخاوف بشكل أكبر وإيجاد الدلائل عليها، وعبر استخدام الاقتباسات من المقابلات داخل الرسوم البيانية نقدم نظرة عن كيف قمنا بالتفسير ونكشف كيف تعمل أساليب رسم هذه الخرائط.

البحث الثاني كان عن «شبان سوريين في الجعيتاوي» (راجع صفحة 110) نتجت عنه بيانات كانت ذات طبيعة أكثر جغرافية. لقد سمحت لنا المعلومات عن المعالم والمناطق في المدينة، وكذلك الانطباعات عن هذه الأماكن من قبل من التقيناهم، بإنتاج أول «خريطة لبيروت». لكن لم نقم برسم هذه الخريطة بطريقة بسيطة على الإطلاق. أولاً لقد رغبنا في تصوير الجغرافيّات المشتركة للمشاركين في البحث عبر تحديد المراجع الجغرافيّة المشتركة بينهم. وإذا كانت الأشكال المدنية الفردية والخطية التي تمت تسميتها (شوارع، جسور، أدراج، معالم، إلخ) سهلة التعريف، فإنّ اتساع

وحدود العناصر المسماة (أحياء، قطاعات، مناطق، إلخ) لم تكن بهذه البساطة: يمكن أن نقدم لها تفسيرات عدّة من ضمن التفسيرات الإدارية المتعددة وممارسات الناس اليومية في المدينة. حين كان ممكناً استخدمنا أصغر وحدة إدارية كمرجع جغرافي، وهدفنا للتخفيف من سياقات حدود هذه الوحدات عبر التعامل معها كأنها من دون حدود، وأحياناً كنسيج مستمر ذات مستوى كثافة متغيّر، ناتجاً عن مدى تكرار تسمية هذه المناطق. حين تعلق الأمر بمنطقة مسماة لا تملك وحدة إدارية خاصة بها، استعنا بالخرائط المفتوحة للجميع وفق نظام الopen source كمرجع للأحياء التي تم تحديدها بشكل جماعي. بالإضافة إلى ذلك، فإنّ خيارنا عدم وضع أي خريطة قاعدية مرجعية كان خطوة إضافية في تأكيد الشك بهذه الحدود، ووسيلة لتأكيد التجربة الجغرافية لهؤلاء المشاركين في عملية بناء خريطة بحد ذاته - وهي تمثيل أو تصوير للعالم - مع حدودها المحددة ونقاطها المركزية، وعدم الاستمرارية فيها والنواقص فيها. بالتوازي مع هذه الخريطة الكمية واجهنا فروقات في روايات المشاركين لم يكن بإمكاننا التغاضي عنها. هذا التناقض النوعي أجبرنا على وضع مصفوفة تقييم / تصنيف داخل مفتاح الخريطة، التي في غيابها قد تكون الخريطة مضللة، حتى لو كانت «دقيقة».

حين وصلنا إلى المشروع الثالث «المدينة من منظار شاب الدليفري» (راجع صفحة 60) كنا ميالين إلى الاستمرار في وسيلة جمع البيانات حول المعرفة المكانية كنقطة انطلاق، لكن الفهم المفصل والمختلف في آن واحد للمدينة من قبل سائقي الدليفري مثّل مجموعة جديدة من التحديات وكذلك من الفرص. انطلقنا من مجموعة من المواقع (مبانٍ وشوارع ومناطق) يستخدمها السائقون كمعالم للتنقل داخل بعض الأحياء. هذه المرة قررنا منذ البداية اختصار استخدامنا للمراجع الجغرافيّة الخارجية، خصوصاً حين يتعلق الموضوع بتحديد أشكال وحدود الأحياء، وقررنا في المقابل الاعتماد على الأماكن التي تحدث عنها السائقون لرسم الحدود منها. وبما أننا نتعاطى مع مجموعة بيانات واسعة كان من الضروري وضع مجموعة قواعد - خوارزميات إنسانية - تقوم بالتأكد من أنّ كل التفسيرات والإعادات لأي عملية ستكون متناسقة. إنّ العلاقة مع الخريطة الأساسية أصبحت أساسية في هذه العملية: إنّ البنية (التحتية) المدنية (مراكز تسوّق، ومدارس، وجامعات، وجسور، وطرقات سريعة، ونهر، إلخ) أثبتت أنّه وجب الأخذ بعين الاعتبار مقياس الأرض (على الخريطة) والخبرة التي يتمتع بها هؤلاء السائقون. كان واضحاً ومنذ البداية استحالة الاعتماد على المكننة لإنتاج هذه الأشكال. التحدي الثاني لمجموعة البيانات هذه كان القدرة على قراءتها. أكثر من أي وقت مضى كان أمراً مصيرياً أن تكون كل خريطة تدور حول حجة واضحة، تقوم بتحديد كل شيء من حجمها إلى درجة تعقيدها، لنسبة وضوحها، وهوامش الخطأ فيها، وعنوانها، وتفسيرها، وتقسيمها والشكل البصري فيها. بهذا المعنى فإنّ مجموعة البيانات أنتجت خرائط هي عبارة عن مجموعة لقطات جغرافية يعمل بعضها مع بعض من أجل إنتاج لمحة داخل الجغرافيّات المعقدة المعيشة لسائقي الدليفري السوريين. لقد سمح لنا العمل عبر مستويات المدينة والحي والشارع بتحديد الأنماط، على المستوى الإنساني، الخاصة بالفهم المكاني لتمييز تشكيلات الأحياء، وقراءة الجغرافيّات على نطاق المدينة.

في هذه التمارين الثلاثة هدفنا إلى أن تكون التجارب المعيشة للاجئين أساس العمل، والسماح لمعرفتهم بأن تؤثر مباشرة على اللغة والمنهجية المتعلقة بتمثيلهم أو تصويرهم. بطرق

plans, relationship to neighborhood, etc.) aimed to generate a more quantifiable "measure of success". However, with success being a deeply subjective notion, these visualizations are perhaps more pertinent if read as indicators of difference, deconstructing the monolithic accounts of Syrian refugees as put forth by dominant discourse. In a second reading of the data, speech analysis allowed us to interpret certain occurrences in the interviews as indicators of particular challenges and concerns the business owners are facing. By abstracting the data through categorization and quantification, we were able to identify overarching concerns, their extent and their intersections; by delving back into the complexity of the transcribed interviews, we were able to further deconstruct these concerns and substantiate them; and by using quotes from the interviews within the diagrams, we provide insight into how interpretation was carried out and expose the inner workings of the mapping method

The second research on "Young Syrian Men in Geitaoui" (see p. 110) resulted in data that was more geographical by nature. Information about known landmarks and areas of the city as well as impressions about these locations by the interlocutors allowed us to produce our first "map of Beirut". But the way we arrived at this map was by no means straightforward. First, we aimed to visualize the common geographies of the research participants by identifying shared geographical references. While the singular and linear mentioned urban forms (streets, bridges, stairs, landmarks...) were straightforward, the expanse and boundaries of the mentioned surface elements (neighborhoods, sectors, zones...) were not: these can take on various understandings both within their multiple administrative definitions and in people's everyday practice of the city. Where possible, we used the smallest administrative unit (the sector) as a geographical reference and aimed to mitigate the certainty of these units' boundaries by treating them as unbounded, and sometimes continuous, textures of varying density, generated by the frequency with which these areas were mentioned. Where no administrative unit existed for a mentioned area, we referred to open-source maps as a repository of collectively defined neighborhoods. In addition, choosing not to include a reference base map was another step in affirming the uncertainty of these boundaries, and a means to emphasize the geographical experience of these participants as constituting a map – a representation of the world – in its own right, with its specific boundaries, centralities, dis-continuities, and absences. In parallel to this quantitative map, we

encountered nuances in participants' accounts that we could not disregard. This qualitative discrepancy led us to introduce a grading matrix within the map legend, without which the map would be misleading, despite being "accurate".

By the third research project, "Seeing the City as a Delivery Driver" (see p. 60), we were keen on continuing with the method of collecting data on spatial knowledge as a starting point, but the detailed and disparate understandings of the city by the delivery drivers presented a new set of challenges, as well as opportunities. We departed from a set of locations (buildings, streets and zones), used by the drivers as navigational landmarks within certain neighborhoods. This time, we decided from the outset to limit our use of external geographical references, specifically when it came to defining the shapes and outlines of neighborhoods, relying instead on the locations mentioned by the drivers to derive the boundaries. Since we were dealing with an extensive dataset, it was essential to set rules – a human algorithm – that would ensure all interpretations and all iterations of a given operation would be consistent. The relation to the base map became central in this process: urban (infra)structures (malls, schools, universities, bridges, highways, river…) proved that scale and embodied experience needed to be taken into account. This demonstrated early on the impossibility of relying on computation for generating these forms. Another challenge of this big dataset was its readability. More than ever, it was crucial for each map to be centered around one clear argument, which would determine everything from its scale and level of complexity, to the degree of its legibility, its margin of error, title, legend, cropping, and visual treatment. In this sense, the dataset effectively produced a mapset, a series of cartographical snapshots that work together to deliver a glimpse into the complex lived geographies of Syrian deliverymen. Working across the levels of the city, of the neighborhood, and of the street allowed us to identify human-scale typologies of spatial understanding, to discern the formations of neighborhoods, and to read city-scale geographies.

In these three exercises, we aimed to put the lived experiences of the refugees at the center, and to allow for their knowledge to directly inform the language and method of their representation. In many aspects, we can consider these maps a departure from conventional cartographic methods as much as they are a departure from conventional representations of refugees. However, each project posed specific conditions that determined how we negotiated these experiences with our own. In effect, both mappers are present, to different degrees, throughout these representations: we have interpreted and abstracted stories and did not attempt to pass that layer as matter-of-fact, we have accepted uncertainty in the data and the gaps in our own knowledge, we were the human hand enacting the algorithm…

As mappers in these projects but also dwellers of the city, we hope that both these positions have informed our visualizations and contributed to what different things different kinds of mappings can consider, "not necessarily by making them more accurate or objective but, for a start, by being more honest about how and why they are made and by teaching more carefully about how to read them."[7]

[1, 5, 6, 7] Dorling, D. 1998. "Human cartography: when it is good to map," *Environment and Planning A*, 30, 277-288.
[2] Harley, J. B. 1989. "Deconstructing the Map," *Cartographica*, 26(2): 1-20.
[3] de Certeau, M. 1988. *The Practice of Everyday Life*. Berkeley; Los Angeles; London: University of California Press.
[4] D'Ignazio, C. 2015. "What Would Feminist Data Visualization Look Like?", online at: https://civic.mit.edu/feminist-data-visualization

عدّة يمكننا اعتبار هذه الخرائط وسيلة للابتعاد عن طرق رسم الخرائط التقليدية بالقدر نفسه التي هي فيه وسيلة للابتعاد عن التصوير التقليدي للاجئين. لكن كل مشروع طرح شروطاً معيّنة أملت علينا كيف نتعاطى مع هذه التجارب، انطلاقاً من تجاربنا الخاصة. في الواقع، إنّ راسمي الخريطة متواجدون بنسب مختلفة عبر هذه التصورات: لقد فسرنا وفصلنا القصص بعضها عن بعض ولم نحاول أن نمرر هذه الطبقات كحقيقة مطلقة، وتقبلنا الشك في البيانات والفجوات في معرفتنا. لقد كنا اليد الإنسانية التي حركت الخوارزميات.

كراسمي خرائط في مشاريع مماثلة وكذلك كسكان في هذه المدينة، نأمل أن تكون هاتان الصفتان قد عززتا الرسومات التي أنجزناها وساهمتا في الأمور والأشكال المختلفة التي تطرحها هذه الخرائط، «ليس بالضرورة عبر جعلها أكثر دقة أو موضوعية، لكن كبداية بأن يكون المرء أكثر نزاهة حيال كيف ولماذا يتم رسمها، وعبر التفسير بشكل أكثر دقة كيف تتم قراءتها».[7]

[1, 5, 6, 7] Dorling, D. 1998. "Human cartography: when it is good to map," *Environment and Planning A*, 30, 277-288.
[2] Harley, J. B. 1989. "Deconstructing the Map," *Cartographica*, 26(2): 1-20.
[3] de Certeau, M. 1988. *The Practice of Everyday Life*. Berkeley; Los Angeles; London: University of California Press.
[4] D'Ignazio, C. 2015. "What Would Feminist Data Visualization Look Like?", online at: https://civic.mit.edu/feminist-data-visualization

أحمد غريبة + مونيكا بصبوص | ما يمكن رسمه كخريطة